مدرسة الإسكندرية

يسوع المسيح رجل الصلاة (٣)

دراسة عن صلوات المسيح في الكتاب المقدس

نيافة أنبا هرمينا

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد التاسع - ٢٠١١

مجلة مدرسة الإسكندرية
عدد ٩

يسوع المسيح رجل الصلاة

دراسة عن صلوات المسيح في الكتاب المقدس (٣)

نيافة أنبا هرمينا

يسوع المسيح رجل الصلاة

دراسة عن صلوات المسيح في الكتاب المُقدَّس(٣)

إعداد مركز الأبحاث بالمجلة
R-center@alexandriaschool.org

تمهيد:

استعرضنا في المقال السابق **المجموعة الأولى** من الشواهد التي تتكلَّم عن **مكانة الصلاة في حياة الرب يسوع اليوميَّة**. ومنها استقينا بعض المفاهيم الهامة للصلاة، والتي كان الرب يسوع نفسه يُعلِّم ويعمل بها، وخاصةً ما يتعلَّق بمكان وزمان الصلاة ومُحتواها. أمّا في هذا المقال فسندرس **المجموعة الثانية** من الشواهد، والتي تجمع بين بعض المواقف التي صلَّى فيها السيد المسيح، **قبل وأثناء أحداثٍ هامَّة** من حياته على الأرض، ومنها:

أثناء عماده (لو٣: ٢١ـ٢٢).

قبل اختياره للاثنى عشر (لو٦: ١٢ـ١٣).

قبل سؤاله لتلاميذه عن اعتراف إيمانهم (لو٩: ١٨).

أثناء حادثة التجلِّي (لو٩: ٢٨ـ٢٩).

قبل صنعه للمعجزات: شفاء الرجل الأصمّ (مر٧: ٣٤)؛

إقامة لعازر من الأموات (يو١١: ٤١ـ٤٢).

عند رجوع السبعين رسولاً من إرساليتهم الكرازيّة (مت١١: ٢٥ـ٢٧؛ لو١٠: ٢١ـ٢٢).

صلاة السيد المسيح أثناء عماده:

يُشدِّد لوقا البشير طوال إنجيله على صلاة يسوع التأمليَّة، على طلبه للعزلة والحياة الحميمة مع الآب، حتى يحقّ لنا أن ندعوا إنجيل لوقا: "إنجيل الصلاة". ففي عمر ١٢ سنة لبث يسوع في الهيكل (٢: ٤١ـ٥٠). وثيؤفانيا

المعموديَّة حدثت بينما هو يُصلِّي (٣: ٢١). وكانت الجموع الكثيرة تتراكض لتسمع يسوع وتُشفَى من أمراضها، أمّا هو فكان يعتزل في البراري ليُصلِّي (٥: ١٥ـ١٦). وقبل أن يختار يسوع الاثني عشر ذهب إلى الجبل، وقضى ليله في الصلاة لله (٦: ١٢). وكان يُصلِّي مرّةً على انفراد والتلاميذ معه، فطرح عليهم السؤال الذي سيطلق اعتراف إيمانهم (٩: ١٨ـ٢١). بعدها تقع ليلة الصلاة على الجبل حيث تبدَّلت هيئة الرب يسوع (٩: ٢٨ـ٣٦). وإرسال السبعين ترافقه توصية بالصلاة، وعودتهم حرَّكت في قلب الرب يسوع نشيدًا عجيبًا من التهليل (١٠: ٢، ٢١ـ٢٢). ويُنَشِّئ الرب يسوع تلاميذه على الصلاة (١١: ١ـ١٣) ويوصيهم بها بالنظر إلى المحنة الكبرى (٢١: ٣٦؛ ٢٢: ٣١ـ٣٢) ويرفق القول بالمثل (٢٢: ٣٩ـ٤٦). وعلى الصليب صلَّى الرب يسوع إلى أبيه طالبًا المغفرة للذين صلبوه ومُستودعًا في يديه روحه (٢٣:٤٣ـ٤٤). وعند صعوده، رفع يديه وتلفَّظ بصلاة البركة (٢٤: ٥٠ـ٥١).

وبدايةً، فإن إنجيل لوقا البشير ينفرد بتدوين تفصيل صلاته أثناء عماده، فيقول: «وَلَمَّا اعْتَمَدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضاً. **وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي** προσευχομένου انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ. وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ بِكَ سُرِرْتُ» (لو٣: ٢١ـ٢٢).

في هذه الآية نجد أن الفعل «اعتمد» βαπτιςθῆναι هو اسم فاعل في الزمن الماضي، إلاّ أن لوقا البشير قد استخدم فعل الصلاة προσευχομαι ، كاسم فاعل في الزمن المضارع καί προσευχομένου «**وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي**»، ليؤكِّد على عدم انقطاع صلوات السيد المسيح قبل وأثناء وبعد المعموديَّة[1]. فهو لم يتكلَّم مع يوحنا المعمدان، كباقي الشعب الآتي ليعتمِد منه مُعترفًا بخطاياه، إذ هو بلا خطية وحده، إلاّ حينما أبدى يوحنا اعتراضًا على مجيئه ليعتمِد منه، فقال له: «اسْمَحِ الآنَ لأَنَّهُ هَكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ» (مت٣: ١٥).

[1] Bovon, Franc□ois; Koester, Helmut: *Luke1: A Commentary on the Gospel of Luke*, (Minneapolis, MN: Fortress Press, 2002), 128.

إن صلاة السيد المسيح أثناء عماده تحمل حقيقةً مُزدوَجة. أولاً؛ تؤكِّد على حقيقة وحدته الكاملة مع الجنس البشري، وثانيًا؛ تؤكِّد على حقيقة تكريس ذاته بالكلية من أجل خلاص جنس البشر، وهو ما جاء لأجله. ولكن يجب علينا ألاّ نفترض، حينما ربط البشير بين فعل الصلاة وبين انفتاح السماء ونزول الروح القدس على السيد المسيح، بأن صلاته كانت هي الباب لانفتاح السماء ونزول الروح القدس عليه. فصلاته لم تنبع من أيِّ شكٍّ بداخله في مدى لياقة أو ملائمة ما يقوم به من عمل؛ أو في مدى أهمية وجدوى عماده في خطة الخلاص. ولكن بإمكاننا أن نفترض بأن صلاته هذه قد نبعت من رغبته الصادقة في إعلان مجد الآب؛ ومن توْقه الشديد لخلاص العالم؛ ومن علمه السابق لما ينتظره من آلام وأحزان. إذًا فإن صلاته هنا ليست صلاة الاعتراف، ولا هي صلاة الطلب والترجّي، لكنها صلاة الشركة المُقدَّسة العميقة مع الله الآب، وهي صلاة التكريس للخدمة المجيدة التي تنتظره، إذ كان بعد في بدايتها.

وكما أسلفنا، فإن القديس لوقا لا يقول هنا: «**صَلَّى**» وكأنه يطلب شيئًا، ولكنه يقول: «**كَانَ يُصَلِّي**»، باستعداد ما قد تقرَّر أن يتمَّ بعد تقبُّله العماد بالماء مُكمِّلاً كل برٍّ، أمَّا بعد تكميل البرّ الذي بحسب البشر فقد آن الوقت لاستعلان كمال البرّ الذي له من السماء: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ بِكَ سُرِرْتُ» (٣: ٢٢)، بنزول الروح القدس على المسيح كإعلان سماوي لاستعلان المسيَّا وشهادة وملء المثيل للمثيل.

كذلك، فإن السيد المسيح قد ترك لنا مثالاً، لوجوب اقتران الصلاة مع الأسرار. فهي فعلٌ طبيعيٌّ في هذا الوقت المميَّز. إنها أفضل تهيئة لقبول صوت الله، وأحسن جواب على الاتصّالات الإلهيّة. فكأن المعموديَّة هيّأت المذبح الروحي الذي عليه قدَّم المسيح نفسه لله، بالصلاة والتكريس، ذبيحة حيَّة، عربونًا لتقديم ذاته لله على الصليب. يقول **القديس كيرلس الإسكندري**:

"لقد كان ضروريًّا إذًا أن كلمة الآب حينما وضع نفسه إلى الإخلاء وتنازل لينَّخِذ شكلنا، كان ضروريًّا أن يصير من أجلنا نموذجًا وطريقًا لكل عمل

صالح، فالذي هو الأول في كل شيء ينبغي أيضًا أن يضع نفسه مثالاً في هذا ... فإنه يبدأ هذا العمل (المعموديَّة) بنفسه، **وحينما اعتمد صلَّى لكي تتعلموا أنتم يا أحبائي أن الصلاة بلا انقطاع هي أمر مناسب جدًّا لأولئك الذين حُسبوا أهلاً للمعموديَّة المُقدَّسة**" (تفسير إنجيل لوقا، عظة ١١)[٢].

صلاة السيد المسيح قبل اختياره للاثنى عشر:

تميَّز القديس لوقا، بصدد تعيين الاثني عشر، عن باقي الأناجيل في أنه اهتمَّ بوضع حادثة صعود المسيح إلى الجبل وكيف قضى الليل كله في الصلاة قبل البدء في تعيين التلاميذ، من بين جموع الذين قد استجابوا لتعاليمه وتبعوه، فيقول: «وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ **لِيُصَلِّيَ** Προσεύξασθαι . وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ **فِي الصَّلاَةِ لِلَّهِ** ἐν τῇ προσευχῇ τοῦ θεοῦ . وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ دَعَا تَلاَمِيذَهُ وَاخْتَارَ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ أَيْضاً رُسُلاً» (لو٦: ١٢ـ١٣).

لقد ذكر القديس لوقا تلك الواقعة مباشرةً بعدما أشار إلى حنق الكتبة والفرّيسيين عليه بعدما شفى الرجل ذو اليد اليابسة في يوم السبت. فقد وصل بخدمته مرحلة قاطعة، حيث بدأ أعدائه في تنظيم أنفسهم لإهلاكه[٣]، بينما شهرته قد وصلت خارج البلاد. فتراكضت إليه الجموع من أورشليم وجميع قرى اليهوديَّة، ليسمعوا حكمته ويُشفوا بقوته. فماذا عمل المسيح في تلك المرحلة الفارقة؟ لقد انفصل عن الجموع التي طلبته، ولم يعبأ بأعداءه، بل التجأ إلى الله أبيه، ومكث عنده في صلاة طويلة. وسمَّى القديس لوقا تلك الصلاة في النص اليوناني: προσευχη του θεου «**الصَّلاَةِ لِلَّهِ**»، حيث لا نجد مثل تلك العبارة مرة أخرى في كل العهد الجديد[٤]. فإن كلمة «الله» του θεου، هي مضاف إليه، والترجمة الحرفية للعبارة هي «صلاة الله»،

---

[٢] القديس كيرلس الإسكندري، تفسير إنجيل لوقا، ط٢، ترجمة نصحي عبد الشهيد، (القاهرة، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائيَّة: ٢٠٠٧)، ٧٠.

[٣] انظر: لو٦: ٦-١١.

[4] Robertson, A.T.: *Word Pictures in the New Testament,* (Oak Harbor: Logos Research Systems, 1997), S. Lk 6:12.

ولكن في تلك الحالة هي مضاف إليه تقع في محل المفعول Objective genitive[٥]. لقد تكلَّم مع الله، ليس بهدف التكلُّم فقط، ولكن للاستماع أيضًا. فالصلاة الحقيقيَّة هي شركة أصيلة، تضمّ معًا التكلُّم والاستماع في تبادل حي. إذًا، فإن تلك العبارة لا تشمل فقط مخاطبة المسيح للآب، ولكنها تشمل أيضًا صمته، واستماعه وجواب الله الآب له[٦]. هذا هو السرّ في قضاء «الليل كله» في الصلاة. لأن الصلوات التي يُقدِّمها الكتبة والفرِّيسيّون، والطِلْبات التي يُقدِّمها تلاميذ يوحنا، تنتهي في وقت قصير، فتصبح حِملاً وثقلاً. لكن هذه الصلاة تزداد قوة كلما ازدادت عمقًا، وكلما ازدادت قوة ارتفعت سموًّا، وكلما ازدادت سموًّا ازدانت لذّة، وتتطوَّر إلى وحدة تامّة دائمة بالله، يكون فيها المسيح والآب واحد[٧].

وكما أمر السيد المسيح تلاميذه للصلاة من أجل أن «يُرْسِلَ فَعَلَةً إِلَى حَصَادِهِ» (مت٩: ٣٨)، قبلما أن يُرسلهم إلى الكرازة بفترةٍ وجيزة، هكذا انخرط هو أيضًا في صلوات طويلة مع الآب للتحضير من أجل هذا التعيين الجليل لأولئك الرجال الذين ستولد الكنيسة بكرازتهم. لقد امتدَّت صلاته طوال الليل، وهكذا وحَّدته الصلاة بأبيه، لا سيَّما وأنّ إرادة أبيه هي إرادته. صلَّى، فكان اختيار تلاميذه مُطابقًا لإرادة الله.

لقد كان لأهمية هذا الاختيار الذي تم في اليوم التالي، مؤشِّرًا لمدى أهميّة وعمق الصلوات التي قدَّمها السيد المسيح في تلك الليلة، حيث إن من وقع عليهم الاختيار هم من سيصيرون معلمي العالم، بحسب الكلمات التي نطق بها: «أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ» (مت٥: ١٤). وهنا كانت عين لوقا البشير مسلَّطة على كيفية اختيار الكنيسة للخدَّام، كتقليد تسلَّمته من الرب يسوع نفسه، وقد أخذت الكنيسة، المُرتشدة بالروح القدس، طقس سهر طول الليل قبل تعيين

---

[5] Vine, W.E.: *Vine's You Can Learn New Testament Greek: Course of Self-Help for the Layman*, (Nashville: Thomas Nelson, 1997).
[6] Bovon, Franc□ois; Koester, Helmut, *op. cit.,* 208.
[٧] انظر: يو ١٠: ٣٠.

الاثني عشر كتقليد كنسي في رسامة الأساقفة والبطريرك اقتفاءً بتدبير المسيح من أجل كنيسته.

صلاة السيد المسيح قبل سؤاله لتلاميذه عن اعتراف إيمانهم:

بعدما أشبع الرب يسوع، الخمسة آلاف بخمس خبزات وسمكتيْن في بيت صيدا، ألقى على الشعب عظته الشهيرة عن «خبز الحياة» في كفر ناحوم، والتي دوَّنها القديس يوحنا في إنجيله[٨]، والتي كان لها الأثر في أن يتركه الكثيرون وينفضّوا من حوله، حيث يقول الإنجيلي: «مِنْ هَذَا الْوَقْتِ رَجَعَ كَثِيرُونَ مِنْ تلاَمِيذِهِ إِلَى الْوَرَاءِ وَلَمْ يَعُودُوا يَمْشُونَ مَعَهُ» (يو٦: ٦٦). هنا أراد الرب أن يختبر إيمان الاثني عشر في تلك اللحظة الفارقة، وقبيل تثبيت نظره نحو أورشليم[٩]، ليبدأ العد التنازلي لمرحلة الآلام، فيقول القديس لوقا: «**وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي** Προσευχόμενον **عَلَى انْفِرَادٍ** كَانَ التَّلاَمِيذُ مَعَهُ. فَسَأَلَهُمْ: مَنْ تَقُولُ الْجُمُوعُ إِنِّي أَنَا؟ ... وَأَنْتُمْ مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» (لو٩: ١٨، ٢٠). يُعلِّق **القديس كيرلس الإسكندري** على هذا السؤال قائلاً:

"فإنه سألهم هذا السؤال، ليس كمن يجهل كليًّا ما كان يُشاع عنه عمومًا، سواء من أولئك الذين لا ينتمون إلى مجمع اليهود، أو من الإسرائيليين أنفسهم، بل كان هدفه بالحريِّ أن ينقذهم من طريقة التفكير العامة، ويزرع فيهم إيمانًا صحيحًا. لذلك سألهم: «مَن تقول الجموع إنّي أنا؟»" (تفسير إنجيل لوقا، عظة ٤٩)[١٠].

ويُلاحَظ هنا أن القديس لوقا لاعتباره أن ما سيأتي من اعتراف بإيمان المسيَّا رُبَّما يكون أخطر عملية في مراحل التعليم، لذلك وضعها في موضع الصلاة، وهكذا يريد القديس لوقا أن يُبيِّن لنا أنّ كل الأحداث الهامّة في حياة الرب يسوع تتمّ في جوٍّ من الصلاة. وواضح أن هدف صلاة المسيح للآب في

---

[٨] انظر: يو٦: ٢٦-٥٩.

[٩] انظر: لو٩: ٥١.

[١٠] القديس كيرلس الإسكندري، تفسير إنجيل لوقا، ٢٤٠.

حضرة التلاميذ، هو أن يمنحهم إرشادًا إلهيًّا، ويفتح بصيرتهم ويُعرِّفهم ما هو الملكوت الذي يسعون إليه ويخدمونه، ويكشف عن بصائرهم حقيقة ماهيّته. وقد جاءت استجابة الصلاة في الحال.

ونُلاحِظ، أيضًا، أن المسيح قد جعل سؤاله تدريجيًّا إذ ابتدأ من معرفة الناس عنه لأن رسالة المسيح بالأساس قائمة على مدى إدراك الشعب للمسيح. فإن استقرَّت معرفتهم على أنه "المُرسَل" من الله والحامل لصورة جوهره: «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يو١٤: ٩)، يكونون قد أدركوا في الحال أنه هو الآتي الحامل لهم الخلاص والحياة الأبدية: «إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلاَمُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ» (يو٦: ٦٨). فرسالة المسيح مُتوقِّفة على قبول إدراكهم لحقيقته وبالتالي رسالته.

صلاة السيد المسيح أثناء حادثة التجلِّي:

كما قلنا إن القديس لوقا قد انفرد بذكر بعض المواقف الهامة التي ظهر فيها السيد المسيح مُصليًّا. ولكن صلاة ربنا يسوع هي حديث الشركة مع الآب الواحد معه في اللاهوت، وليس حديث مَن تبنّاه الله كعطيّة. على أيِّ الأحوال، فها هو الآن في حادثةٍ هامّة في حياة السيد المسيح، يسرد لنا، أيضًا، موقف من مواقف الصلاة له، فيقول: «وَبَعْدَ هَذَا الْكَلاَمِ بِنَحْوِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ أَخَذَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا وَيَعْقُوبَ وَصَعِدَ إِلَى جَبَلٍ **لِيُصَلِّيَ** Προσεύξασθαι . **وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي** ἐν τῷ Προσεύχεσθαι صَارَتْ هَيْئَةُ وَجْهِهِ مُتَغَيِّرَةً وَلِبَاسُهُ مُبْيَضّاً لاَمِعاً» (لو٩: ٢٨-٢٩). لقد كان الغرض المُعلَن أولاً للتلاميذ هو الصلاة فى خلوة مع المسيح، وإذ أحبوا الخلوة والصلاة، أعلن لهم المسيح مجده فى التجلِّي. فإن التجلِّي، شأنه شأن الظهور الإلهي في المعموديَّة، يرتبط بحياة الرب يسوع الروحيَّة، جعلت النعمة هالة على حياة الصلاة لديه فدلَّت على عمق اتّحاده بالله. فرُبَّما هذه الحادثة كشفت كيف انفتحت أعين التلاميذ ليروا ما يحدث للرب يسوع حينما يناجي أبيه في شركة حقيقيَّة معه. فالصلاة هي الوضع الملائم للإعلان الإلهي، على الرغم من أن هذا الإعلان الذي تم هنا، لم يكن لمن كان يُصلِّي، بل كان للتلاميذ المُرافقين له.

ويُلاحَظ هنا أن القديس لوقا قدَّم حادثة التجلِّي هذه بعد سؤال المسيح مباشرةً عمَّنْ يقول الناس إني أنا؟ ذلك لكي يرد عليهم بحقيقة نفسه من واقع سماوي وشهادة الناموس على يد صاحبه، وشهادة الأنبياء على يد مُمثِّلهم الأعظم. ثم بعد هذا كله بل وقبل ذلك كله صوت الآب من السماء: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا» (لو٩: ٣٥). فبعد أن اعترف به التلاميذ مسيحًا، ها هو يُنبِّئ بآلامه وموته، ثم يتجلَّى لهم ليُثبِّت إيمانهم. أو بالأحرَى، هو الله الذي أراد أن يقوِّي إيمان التلاميذ فكشف لهم بطريقة عابرة مجد ابنه، هذا المجد الذي سيتجلَّى عبر الآلام، وسيتجلَّى في ملئه بالقيامة والصعود.

ونلاحظ، أيضًا، الموازاة مع النزاع في بستان جثسيماني. ففي مجد التجلِّي تحدَّث موسى وإيليا مع الرب يسوع عن الخروج الذي سيُتمَّه في أورشليم؛ وفي صراع الرب يسوع في جثسيماني نراه يخضع لأبيه مُتقبِّلاً كأس الآلام التي صبّ فيها نزاع الحب. في التجلِّي وفي النزاع يُصلِّي الرب يسوع خلال الليل يحيط به تلاميذ يغلب عليهم النعاس. تحدَّث خبر التجلي عن التعب، وخبر النزاع عن الحزن. وفي الحالتيْن تشع نعمة الوحي: مجد المتجلِّي والرؤية والصوت السماوي من جهة، ورؤية الملاك والعرق والدم في ظلمة جثسيماني من جهةٍ ثانية. في التجلِّي يُعلَن الرب يسوع ابن الله بالصوت السماويّ، وفي صلاته في جثسيماني يُسلِّم ذاته بروح بنويَّة إلى إرادة أبيه.

وإذا نظرنا إلى قول بولس الرسول: «تَغَيَّرُوا μεταμορφοῦσθε عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ» (رو١٢: ٢). فإن هذا التغيير لا يتم دون الصلاة، التي تمنح هذا القُرب من الله، وبالتالي تنعكس صورته على المُصلِّي. فجديرٌ بالملاحظة، أن الكلمة اليونانيَّة μεταμορφόω التي استخدمها بولس الرسول في صيغة الأمر: «تَغَيَّرُوا» μεταμορφοῦσθε ، هي نفس الكلمة التي استخدمها القديس مرقس ليصف تجلِّي السيد المسيح: «وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ μετεμορφώθη» (مر٩: ٢). ولكن متى حدث هذا التجلِّي له؟ لقد حدث ذلك على الجبل وهو يُصلِّي. فالصلاة هي التغيير الحقيقي، هي التجلِّي الحقيقي للروح. وبالتالي، نحن هنا على الأرض نعكس، إلى درجةٍ ما، صورة

اللّه، لحين الوصول إلى المكان حيث «نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ» (١يو٣: ٢)[11].

إذن، فإن الشركة الروحيَّة مع اللّه عن طريق الصلاة، هي حالة من السمو أو الرفعة الروحيَّة. وهذا السمو يعكس لدرجةٍ ما حالة متقدمة في الحياة الروحيِّة، ممتلئة بأغنى وأعمق بهجة. ولكن هذا السمو لا يُمنَح كغرضٍ في ذاته، ولكن كوسيلةٍ لغرضٍ أسمى. ولكي يُؤكِّد البشير على علاقة الصلاة في تعزيز هذه الرفعة الروحيَّة، ربط تجلِّي الرب يسوع بالصلاة، فبطريقةٍ ما هو يظهر كعاقبةٍ لها. فالصلاة تصرفنا بعيدًا عن الأمور اللاهيّة، وتُخفِّف عنّا ضغط الأمور العالميَّة، وتستدعي فينا أعظم وأنقى المشاعر الإنسانيَّة، وتفتح لنا كل الكنوز الإلهيَّة.

صلاة السيد المسيح قبل صنعه للمعجزات:

هناك واقعتان يذكر فيهما الإنجيل أن السيد المسيح قد صلَّى قبل صنعه للمعجزات، أولهما شفاء الرجل الأصمّ (مر٧: ٣٤)؛ والثانيَّة كانت عند إقامة لعازر من الأموات (يو١١: ٤١ـ٤٢).

أولاً، شفاء الرجل الأصمّ:

يسرد لنا القديس مرقس حدث وصول السيد المسيح إلى وسط حدود العشر مدن، حينما جاءوا إليه بأصمٍّ أعقد وطلبوا إليه أن يضع يده عليه. حينئذٍ وضع أصابعه في أذنيّه وتفل ولمس لسانه. ثم يُكمل البشير قائلاً: «**وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَأَنَّ** καὶ ἀναβλέψας εἰς τὸν οὐρανὸν ἐστέναξεν وَقَالَ لَهُ: إِفَّثَا. أَيِ انْفَتِحْ» (مر٧: ٣٤).

في هذه الآية، نُلاحظ أن البشير قد استخدم فعليْن ليحيط بموقف الصلاة الذي كان عليه السيد المسيح؛ أولهما هو ἀναβλέψας وهو اسم فاعل في زمن الماضي للفعل ἀναβλέπω بمعنى: "يرفع نظره، ينظر إلى فوق، يتطلَّع".

[11] Spence-Jones, H. D. M. (Hrsg.): *The Pulpit Commentary: Romans*, (Bellingham, WA: Logos Research Systems, Inc., 2004), 370.

مع دمجه باتجاه رفع النظر «نحو السماء» εἰς τὸν οὐρανὸν . وقد اُستخدِم في ثلاثة مواضع أخرى من الإنجيل، ليصف أيضًا موقف آخر من مواقف الصلاة للسيد المسيح، في معجزة إشباع الجموع (مت١٤: ١٩؛ مر٦: ٤١؛ لو٩: ١٦)[١٢]. أمّا الفعل الثاني فهو ἐστέναξεν، وهو صيغة الماضي للفعل στενάζω بمعنى: "يئنّ"، أي تأوه أو توجَّع. وقد ورد هذا الفعل في العهد الجديد ٦ مرات[١٣]، منها مرة واحدة في البشائر، وهو الموضع الذي نحن بصدده الآن. والاسم منه هو στεναγμός بمعنى: "أنين"، وقد جاء في العهد الجديد مرتيْن فقط، منها قول بولس الرسول عن صلاة الروح فينا: «وَكَذَلِكَ الرُّوحُ أَيْضاً يُعِينُ ضَعَفَاتِنَا لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلَكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا **بِأَنَّاتٍ** στεναγμοῖς **لاَ يُنْطَقُ بِهَا**» (رو٨: ٢٦)[١٤]. إنها كلمة، لا تصف محتوى الصلاة، بل تصف، بالأكثر، مدى عمقها وقوَّتها، فالله يستجيب سريعًا لمثل هذه الصلوات، حيث إنها تتشكَّل من صرخات بالغة الأسى: «إِنِّي رَأَيْتُ مَشَقَّةَ شَعْبِي الَّذِينَ فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ **أَنِينَهُمْ** στεναγμοῦ وَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ» (أع٧: ٣٤)[١٥].

في هذه المعجزة، نُلاحِظ أن السيد المسيح قد استخدم مع الرجل الأصمّ طُرقًا ملموسة، حتى توقظ فيه هذه الحركات الخارجيَّة روح الإيمان اللازم لنوال الشفاء، لأنه وهو أصمّ لا يستطيع أن يسمع كلام الرب. فالسيد المسيح وضع إصبعه في أذنيّه ليشعر المريض بإصبعه، أي قوته الشافية، ويتلامس أيضًا مع حب المسيح وحنانه. وتفل ولمس لسانه ليؤمن أن هناك قوة ستخرج منه لتفك لسانه. ورفع نظره ليعلم المريض أن يرفع نظره لله، وليؤكِّد له أن القوة التي ستشفيه هي من الله، وأنه مُتحدٌّ مع الآب. وأن قوة الشفاء هي من الله وليست من بعلزبول. وتفل المسيح كان ليرى هذا الأصمّ شيئًا مُعبِّرًا عن الحياة

---

[12] Balz, Horst Robert; Schneider, Gerhard: *Exegetical Dictionary of the New Testament*, (Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, 1993), S. 1:76.

[١٣] انظر: رو٨: ٢٣؛ ٢كو٥: ٢، ٤؛ عب١٣: ١٧؛ يع٥: ٩.

[14] Zodhiates, Spiros: *The Complete Word Study Dictionary: New Testament*, (Chattanooga, TN: AMG Publishers, 2000), G4726.

[15] Balz, Horst Robert; Schneider, Gerhard, *op. cit.,* S. 3:272.

يخرج من المسيح، وكان التفل جزءً من جسد المسيح ليعطي حياةً لأعضائه الميتة، هذه كنقل دم لمريضٍ ليعطيه حياة. وزاد المسيح هنا أن استخدم أمره المُباشِر للأعضاء، كخالق يُصحِّح عضوًا فَقَدَ الاستجابة، بقوله: «إفَّثَا» بمعنى «انْفَتِحْ». ونقول إن الأمر الصادر من السيد المسيح صادر إلى العضو ذاته لأن الرجل لا يسمع.

أمّا عن الفعل «أَنَّ»، فهو يحمل أكثر من معنى في طيّاته. فأنين السيد المسيح هو لاستحضار قوة خاصة من أعماقه لعمل عملية الخلق الجزئي للأخرس الأصم. وهذا لا يُقلِّل من قوة المعجزة بل يزيدها تدخُّلاً إلهيًّا لتكميل الشفاء. كذلك، فإن السيد المسيح، بتجسُّده، اختبر الآلام وصار قريبًا جدًّا لأوجاع المُجرَّبين مُتعاطفًا مع عجزهم، «لأَنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ تَأَلَّمَ مُجَرَّباً يَقْدِرُ أَنْ يُعِينَ الْمُجَرَّبِينَ» (عب٢: ١٨). فهو متعاطف معنا، شاعر بآلامنا، «فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ» (إش٦٣: ٩). لذلك فهو كنائب لهذا الإنسان ولأجله، يعرض معاناته لله، بتعاطف شخصي رائع. كما تحمل أنَّاته كل الأسى لما فعلته الخطيَّة في الإنسان الذي خلقه الله على صورته ومثاله. فرُبَّما تفكيره فيما كان عليه الإنسان في جنة عدن قبل السقوط، وما آل إليه الآن، قد ظهر في صورة هذا الأنين.

ثانيًا: إقامة لعازر من الأموات:

لم تَرِد معجزة إقامة لعازر من الأموات إلاّ في بشارة القديس يوحنا الإنجيلي. وقد سجَّل البشير الصلاة التي خاطب السيد المسيح بها الآب، أمام قبر لعازر، وهي من الصلوات القليلة في البشائر التي يُذكَر نصّها بالكامل، حيث يقول الإنجيلي: «وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ وَقَالَ: أَيُّهَا الآبُ أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي. وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي» (يو١١: ٤١-٤٢).

إن نصَّ هذه الصلاة هو أحد النصوص الثلاثة التي ترِد في إنجيل يوحنا[١٦]. وكلها يبدأها السيد المسيح مُخاطبًا أبيه قائلاً: «أَيُّهَا الآبُ» Πάτερ ، وكلها تُركِّز على السيد المسيح ابن الله المُرسَل إلى العالم من قِبَل الآب؛ والعبارة التي تُوضِّح ذلك، في هذا النص، قوله: «لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي». وهي قريبةٌ جدًّا لنص العبارة التي تُوضِّح الغاية التي من أجلها كُتِب إنجيل يوحنا: «وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ» (يو٢٠: ٣١). كما أن هذه الصلاة تُركِّز على الشكر، بعكس الصلوتيْن الأخرتيْن، وهي قريبة من قول المُرنِّم في المزمور، الذي طالما استشهد به كتَّاب العهد الجديد: «أَحْمَدُكَ لأَنَّكَ اسْتَجَبْتَ لِي وَصِرْتَ لِي خَلاَصاً» (مز١١٨: ٢١).

تكشف هذه الصلاة عن وحدة إرادة الابن مع أبيه، فما هو مُقبِل على فعله ليس خاص بلعازر فقط، ولكنه أيضًا من أجل الذين سيشهدون تلك المعجزة الخارقة. فالقصد منها ليس إقامة لعازر من الأموات فقط، ولكنها بالمثل تبغي إيمان الجموع به كابن الله. فهذه المعجزة ليست للشهرة، فالسيد المسيح يرفض دائمًا مثل تلك الأعمال[١٧]. ولكن هذا النص يشير إلى أن العالم على وشك تذوّق قوة الله ونعمته التي لا مثيل لها، والتي منها يمكن استنتاج الهدف من هذا العمل العلني الذي سيُنجزه السيد المسيح، والذي يشير إلى ما وراء هذا الحدث، أي قيامته هو من الأموات، وبالتالي سلطانه الأعظم في القيامة العامة والدينونة وإعطاء الحياة للعالم[١٨]. وهكذا فإن ما يراه الرب غير ما نرى نحن، دوافعنا ليست واقِعَهُ، ولو تركنا تقديراتنا لحساباته، لجاءت النتائج جدَّ مُخالفة لظنوننا. فما قد عزم عليه الرب هو أن يتمجَّد في لعازر من أجل محبيه، فيستعلن للعالم قوة القيامة والحياة التي فيه. في تفسيره لإنجيل يوحنا، يقول **القديس يوحنا ذهبي الفم:**

---

١٦ انظر أيضًا: ١٢: ٢٧، ٢٨؛ ١٧: ١-٢٦.

١٧ انظر: مت٤: ٥-٧؛ لو٤: ٩-١٢.

18 Borchert, Gerald L.: *The New American Commentary: John 1-11,* (Nashville: Broadman & Holman Publishers, 2001), 362.

"ما أقوله الآن، هو ما أقوله دائمًا، إن المسيح لا يبغي مجده الشخصي، بل يبغي خلاصنا نحن؛ كما إنه لا ينطق بمجرَّد أقوال رنّانة، بل بما يجذبنا نحوه"[١٩].

ولكن هل كان السيد المسيح في حاجة إلى الصلاة أولاً، ليتمكَّن من إقامة لعازر من الأموات؟ بالطبع لا، فهو نفسه قد قال: «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ يُقِيمُ الأَمْوَاتَ وَيُحْيِي كَذَلِكَ الاِبْنُ أَيْضاً يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ» (يو٥: ٢١). إذًا، فيما كان الهدف من تلك الصلاة؟ يشرح ذلك **القديس يوحنا ذهبي الفم** قائلاً:

"دعنا، إذن، نسأل الهراطقة، هل منحته الصلاة قوةً، ليقيم الإنسان الميِّت؟ فكيف، إذن، قام بعمل المعجزات الأخرى دون أن يُصلِّي، قائلاً: «أيها الروح الأخرس الأصمّ أنا أمرك أخرج منه» (مر٩: ٢٥)؛ و «أُريد فاطهُر» (مر١: ٤١)؛ و «قُم. احمل سريرك» (يو٥: ٨)؛ و «مغفورة لك خطاياك» (مت٩: ٢)؛ وللبحر: «اسكت. ابكم» (مر٤: ٣٩)؟ وبالاختصار، ما الذي يُميِّزه عن الرسل، إن كان يصنع المعجزات عن طريق الصلاة؟ بل يجب أن أقول، بالحري، ولا هم أيضًا قد صنعوا كل المعجزات عن طريق الصلاة، بل صنعوها أحيانًا داعين باسم يسوع. والآن، إن كان لاسمه هذه القوة العظيمة، فهل كان في حاجة إلى الصلاة؟ ... دعنا، إذن، نرى ماذا كانت كلمات صلاته: «أشكرك لأنك سمعت لي». هل هناك أحدٌ صلَّى، أبدًا، بهذه الطريقة؟ فقبل أن يتلفَّظ بأي صلاةٍ، يقول: أشكرك، مُظهِرًا عدم حاجته للصلاة. «وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي»، هو لم يقل ذلك، كأنه بلا قوة، ولكن ليؤكِّد على أن إرادته هي واحدة مع الآب. ولكن لماذا نطق بتلك الصلاة؟ اِسمعه يقول: «ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني»"[٢٠].

---

[19] *The Nicene and Post-Nicene Fathers,* edit by: Schaff, Philip, First Series, Vol. XIV, (Oak Harbor: 1997), *Homilies on the Gospel According to St. John*, Homily LXIV:1, p. 236.
[20] Idem.

يؤكِّد على ذلك، أيضًا، **القديس كيرلس الإسكندري** قائلاً:

"إنه أمر مناسب لتدبير إخلائه لنفسه بالتجسُّد أن يتكلَّم المسيح هكذا كإنسان بطريقة متواضعة وليس بحسب سمو ألوهيَّته. وهو يُقدِّم شكره للآب، ليس من جهة لعازر فقط، بل من أجل حياة كل البشر ... ومع ذلك فإن الرب يشكر الآب ليكون مثالاً لنا في إكرام الآب، لأنه حينما يُقدِّم شخص الشكر لِمَن هو مساوٍ له، فإن هذا لا يكون علامة على أنه أقل منه في الجوهر. ولهذا السبب فإن يسوع يشير إلى أنه يقول هذا «لأجل هذا الجمع الواقف»، وكأنه يقول: لقد أخذت شكل الصلاة الخارجي وأنا أُقدِّم الشكر حسب الصورة التي اتَّخذتها بالتدبير (أي بالجسد) ... إذًا فإن طريقة صلاته هذه تتَّفِق مع الحالة التي اتَّخذها بالتدبير (أي بالجسد)، وليس بحسب سمو وجلال الألوهيَّة التي لا تُقارَن. فالسؤال والنوال من الله في الصلاة هما أعمال تليق بالعبد وليس بالسيد، وهي أعمال عاديَّة لمن هو خاضع للسلطان. ومع ذلك فإن المسيح لا يُلام على فعله مثل هذه الأمور؛ لأنه إذ قَبِلَ حالة الإنسان لنفسه فكيف يمكن أن ينفر من خصائص البشريَّة؟"[٢١].

دعنا الآن نُحلِّل كلمات تلك الصلاة. وبدايةً، يقول البشير «رَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ ἦρεν τοὺς οφθαλμοὺς ἄνω ». هذا تعبيرٌ خارجي عن رفع العقل، مُعطيًّا لنا مثالاً على رفع أفكارنا وقلوبنا نحو الله في السماء أثناء الصلاة. فما هي الصلاة، إلاّ ارتفاع الروح نحو الله أبينا الذي في السموات. ولكن ليس معنى ذلك حصر وجود الله في السماء، لأنه مالئ السموات والأرض[٢٢]. ولكن بما أن البشر لا يستطيعون تحرير أنفسهم من التخيُّل، حتى لا يُكوِّنوا فكرة أرضيَّة عن الله، إلاّ حينما يسمون فوق العالم، لذلك وجَّهت الأسفار المُقدَّسة نظرهم نحو السماء، وأعلنت أن السماء هي كرسيُّ الله[٢٣].

---

[٢١] القديس كيرلس الإسكندري، شرح إنجيل يوحنا (الجزء السادس)، ترجمة نصحي عبد الشهيد وجوزيف موريس فلتس، (القاهرة، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائيَّة: أكتوبر ٢٠٠٦)، ٣٣-٣٥.

[٢٢] انظر: إر٢٣: ٢٤.

[٢٣] انظر: إش٦٦: ١.

كذلك فإن حرارة الصلاة غالبًا ما تؤثِّر في الجسد، بحيث أنه، ودون تفكير، يتبع العقل في انسجامٍ تام.

يبدأ السيد المسيح صلاته قائلاً: «أَيُّهَا الآبُ أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي πάτερ, εὐχαριστῶ σοι ὅτι ἤκουσάς μου ». لم يذكر يوحنا البشير أن السيد المسيح صلَّى للآب من أجل لعازر، قبل هذه الصلاة، ولكن كلماته هذه تُظهر وحدة إرادته مع إرادة الآب، فالتركيز هنا ليس على الاستماع بل على الاستجابة؛ والتي هي استجابة مُطلقة بسبب تطابق المشيئة تطابقًا مُطلقًا. فقبل أن يذهب السيد المسيح مع تلاميذه إلى بيت عنيا، وكان لعازر مازال مريضًا، قال لهم: «هَذَا الْمَرَضُ لَيْسَ لِلْمَوْتِ بَلْ لأَجْلِ مَجْدِ اللَّهِ لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ اللَّهِ بِهِ» (يو١١: ٤). وهذا ما يشرحه **القديس أمبروسيوس** قائلاً:

"«أيها الآب، أشكرك لأنك سمعت لي». كيف استمع الآب للابن، في حين لم يُشَر في الفقرة السابقة أن الابن تكلَّم مع الآب من أجل لعازر؟ فلكي لا نفتكر بأن الآب لم يستمع للابن سوى مرة واحدة، أضاف: «وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي». إذن، هذا الاستماع ليس فيما يَخُصّ الاستجابة، بل يَخُصّ الوحدة الأزليَّة" [٢٤].

كما أن قوله هذا هو بيانٌ عملي أمام تلاميذه، الذي قال لهم: «إِنْ ثَبَتُّمْ فِيَّ وَثَبَتَ كَلاَمِي فِيكُمْ تَطْلُبُونَ مَا تُرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ» (يو١٥: ٧)؛ «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ مِنَ الآبِ بِاسْمِي يُعْطِيكُمْ» (يو١٦: ٢٣)؛ أي سيكون هناك انسجام بين ما تطلبون وبين القصد الإلهي؛ فلن تطلبوا شيئًا، روحيًّا أو ماديًّا، ليس في قصده أن يمنحه لكم. هذا هو السر والمعنى الحقيقي للصلاة[٢٥]. وهذا ما يؤكِّده القديس يوحنا في رسالته الأولى قائلاً: «وَهَذِهِ هِيَ الثِّقَةُ الَّتِي لَنَا عِنْدَهُ: أَنَّهُ إِنْ طَلَبْنَا شَيْئاً حَسَبَ مَشِيئَتِهِ يَسْمَعُ لَنَا. وَإِنْ

[24] *The Nicene and Post-Nicene Fathers,* edit by: Schaff, Philip, Second Series, Vol. X, *On the Holy Spirit, Book II,* Chapter XII, p. 132.
[25] Spence-Jones, H. D. M. (Hrsg.): *The Pulpit Commentary: St.John Vol. II*, (Bellingham, WA: Logos Research Systems, Inc., 2004), 95.

كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ مَهْمَا طَلَبْنَا يَسْمَعُ لَنَا، نَعْلَمُ أَنَّ لَنَا الطِّلْبَاتِ الَّتِي طَلَبْنَاهَا مِنْهُ» (١يو٥: ١٤، ١٥).

ثم يضيف قائلاً: «وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي ἐγὼ δὲ ᾔδειν ὅτι πάντοτέ μου ἀκούεις ». مُشيرًا إلى أن صلاته لم يرفعها كأيِّ إنسانٍ، والتي يُستجاب لها أو لا يُستجاب، بحسب ما يرى الله الصالح له. لذلك حرص القديس يوحنا على استخدام الفعل «عَلِمْتُ ᾔδειν »، وهو تصريف الفعل οἶδα "أعلم"، في زمن الماضي التام Pluperfect . فإن استخدام الزمن التام في اللغة اليونانيَّة يُعتبَر استخدامًا مقصودًا دائمًا، لأن الكاتب اختار هذا الزمن بدلاً من زمن الماضي البسيط، الذي يدلّ أيضًا على حدث وقع في الماضي، ولكن الزمن التام يُعطيه استمراريَّة[٢٦]. وفي هذه الحالة كان استخدامه للتعبير عن ديمومة وحدة الإرادة بين الآب والابن. لذلك يقول **القديس كيرلس الإسكندري**:

"«وأنا عَلِمت أنك في كل حين تسمع لي»، لأن طبيعة الألوهيَّة الواحدة، لا يمكن أن تتعارض مع ذاتها حيث إن فكر أقانيم الثالوث، الآب والابن والروح القدس، هو واحد. لذلك إذ هو يعلَم هذا، فهو يقول إن لنا هدف واحد ومشيئة واحدة، وأنا أُصلِّي هكذا «لأجل الجمع الواقف»، والمسيح يتكلَّم هكذا بسبب اليهود مُقدِّمًا الشكر للآب، مُبيِّنًا أنه يعمل الأعمال الإلهيَّة بقوة الآب، لكي لا يقولوا إنه يعمل الآيات ببعلزبول"[٢٧].

كذلك يقول **القديس أمبروسيوس**:

"مع أنه يتكلَّم بما يناسب صفته البشرية التي اتَّخذها بالتجسُّد، إلاّ أنه في نفس الوقت يُعبِّر عن وحدته مع الآب في المشيئة والعمل، وذلك على أساس أن الآب يسمع ويرى كل ما يريده الابن، ولذلك فإن الآب يرى أعمال الابن ويسمع الكلمات المُعبِّرة عن مشيئته، لأن الابن لم يُقدِّم أي طلبة للآب، ومع ذلك قال إنه قد سُمِع له ... ولكي يُبيِّن الابن أن الآب دائمًا يسمع له، لا

[٢٦] ستان سكرسلت، أصول اللغة اليونانيَّة للعهد الجديد، (القاهرة، دار الكتاب المُقدَّس)، ٤٤.

[٢٧] القديس كيرلس الإسكندري، شرح إنجيل يوحنا، ٣٤.

كعبد ولا كنبي ولكن كابن، قال: «وأنا أعلم أنك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع قلتُ ليؤمنوا أنك أرسلتني» (يو١١: ٤٢). لذلك فإنه من أجلنا يُقدِّم الشكر للآب، لئلا نظن أن الآب والابن هما شخص واحد، عندما نسمع عن ذات العمل الواحد الذي يعمله الآب ويعمله الابن. ولكي يُرينا أيضًا أن تقديم الشكر ليس هو دين واجب الأداء من شخص أقل في القوة والسلطان، بل على العكس، فإنه كابن لله تصرَّف باستمرار كمن يمتلك السلطان الإلهي، وهكذا يصرخ: «لعازر هلمّ خارجًا»، وهذا بالتأكيد أمر بالقيامة وليس صوت صلاة (لطلب المعونة)" (شرح الإيمان المسيحي، ٤: ٦: ٧٠-٧٢)[٢٨].

ثم يختتم السيد المسيح صلاته قائلاً: «وَلَكِنْ لأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ διὰ τὸν ὄχλον τὸν περιεστῶτα εἶπον ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ **أَرْسَلْتَنِي** ἀλλὰ ἵνα πιστεύσωσιν ὅτι σύ με ἀπέστειλας ».

إن الفعل "أرسل" ἀποστέλλω يظهر كثيرًا في البشائر، ولكنه يحتل مكانًا بارزًا في إنجيل يوحنا، حيث يتكرَّر ٢٨ مرة، منها ١٧ مرة خاصة بإرسال السيد المسيح من قِبَل الآب[٢٩]. والبداية كانت قول السيد المسيح: «لأَنَّهُ لَمْ **يُرْسِلِ** اللَّهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ» (يو٣: ١٧). أمّا آخر مرة يشير إلى تلك الحقيقة، كانت حينما كلَّف السيد المسيح تلاميذه، قائلاً: «كَمَا **أَرْسَلَنِي** الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا» (يو٢٠: ٢١). كما أكَّد القديس يوحنا على تلك الحقيقة في رسالته الأولى[٣٠]. وفي هذه المعجزة، لم يكن السيد المسيح مُهتمًّا بالظهور أمام الجمع كصانع للمعجزات، ولكن، بالحري، أن يكشف عن طريق معجزاته أنه مُرسَل من الله، لأنه يعمل أعمال

---

[٢٨] القديس أمبروسيوس أسقف ميلان، شرح الإيمان المسيحي (الجزء الثاني، الكتب: ٣-٥)، ترجمة نصحي عبد الشهيد، (القاهرة، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائيّة، نوفمبر ٢٠٠٩)، ٩٢-٩٣.

[29] Balz, Horst Robert; Schneider, Gerhard, *op. cit.,* S. 1:141.

[٣٠] انظر: ١يو٤: ٩، ١٠، ١٤.

اللّه. وهذا المعنى واضحًا في النص اليوناني، مُستخدمًا الضمير σύ «أَنَّكَ»، للتوكيد[٣١].

فتلك هي الرغبة القويَّة التي تشغل قلب السيد المسيح؛ أن يعرف تلاميذه أنه من اللّه خرج، وهو ما يظهر جليًّا في يو١٦: ٢٩-٣١. تلك هي اللحظة التي أشار إليها حينما أعلن لتلاميذه علانيةً موت لعازر، وقبل أن ينتقل إلى بيت عنيا معهم، حينما قال لهم: «وَأَنَا أَفْرَحُ لأَجْلِكُمْ إِنِّي لَمْ أَكُنْ هُنَاكَ لِتُؤْمِنُوا» (يو١١: ١٥). ولكن في يو١٧: ٢١، يكشف أن هذه الرغبة لا تشمل فقط إيمان تلاميذه، ولكنها تشمل أيضًا إيمان العالم كله. يشرح ذلك **القديس هيلاري أسقف بواتييه** قائلاً:

"حينما كان على وشك إقامة لعازر من الموت، صلَّى للآب. ولكن فيما كانت حاجته للصلاة؟ ... لقد صلَّى من أجلنا، حتى نؤمن أنه هو الابن. فكلمات الصلاة هذه، لم تكن لفائدته هو، ولكن قالها لتعزيز إيماننا. لم يكن هو في حاجة إلى المعونة، بل نحن إلى التعليم"[٣٢].

صلاة السيد المسيح عند رجوع السبعين من إرساليَّتهم الكرازيّة:

نحن مديونون كثيرًا للقديس لوقا بهذا الجزء الفريد من كرازة المسيح وهو تعيين سبعين رسولاً آخرين غير الاثني عشر، الأمر الذي لم يذكره أيٌّ من الأناجيل الأخرى. فحينما رجع الرسل السبعون من إرساليَّتهم فرحين، قالوا للسيد المسيح: «يَا رَبُّ حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِاسْمِكَ» (لو١٠: ١٧)؛ وهنا يتدخَّل المسيح في أمر إخراجهم للشياطين قائلاً إنه آزرهم هو أيضًا بقوته وسلطانه، ورأى الشيطان ساقطًا من السماء. ولكن إن كان فرحهم، أو إن كان خضوع الشيطان لهم، فهذا له تفسير واحد مبدئي أن أسماءهم كُتبَت في سفر الحياة.

---

[31] Newman, Barclay Moon; Nida, Eugene Albert: *A Handbook on the Gospel of John*, (New York: United Bible Societies, 1993), 376.

[32] *The Nicene and Post-Nicene Fathers,* edit by: Schaff, Philip, Second Series, Vol. IX, *On the Trinity*, Book X, 71, p. 202.

إن عودة التلاميذ فرحين بانتصارهم على الشيطان وإتيان المعجزات أبهج قلب المسيح بأن الرسالة سُلِّمت لأيْدٍ تستطيع حملها. فبعد أن حذَّرهم من الكبرياء ليظل فرحهم بأن أسماءهم مكتوبة في سفر الحياة هو فرحهم الوحيد، بدأ المسيح يُقدِّم الشكر أمام تلاميذه ليعلموا من أين أتت المعونة، وكيف يفرح اللّه الآب والابن بخلاص أي فرد، فيقول الكتاب: «وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَهَلَّلَ يَسُوعُ بِالرُّوحِ وَقَالَ: أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الآبُ لأَنْ هَكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ» (لو١٠: ٢١)[٣٣].

في البداية، وقبلما يخاطب السيد المسيح أبيه، يقول عنه الكتاب إنه «تَهَلَّلَ بالرُّوحِ ἠγαλλιάσατο ἐν τῷ πνεύματι ». فإن كان السيد المسيح «رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ» (إش٥٣: ٣)، فهو أيضًا رجل الابتهاج كما تُحدِّثنا عنه هذه الآيات[٣٤]. ولكي يُوضِّح البشير شدة فرح وبهجة السيد المسيح، قام باستخدام الفعل «تَهَلَّلَ ἠγαλλιάσατο»، وهو الفعل الماضي المبني للمتوسط للفعل ἀγαλλιάω. ويتكوَّن من مقطعيْن: ἄγαν بمعنى "جدًّا"، وἅλλομαι بمعنى "أثب، أطفر، أقفز، ينبع". فالفعل ينم عن طفرة السرور والنشوة والفرح الغامر الفيّاض[٣٥].

والتعبير «تَهَلَّلَ بالرُّوحِ»، لا نجده إلاّ في لغة الكتاب المُقدَّس وكنيسة الآباء، ويُشير إلى الفرح الذي يُطوِّق الإنسان برمَّته ويشعُّ منه على الآخرين[٣٦]. وهذا التعبير يُبرز العلاقة بين خدمة المسيح ومسحه بالروح القدس؛ فكثيرًا ما أظهر لوقا البشير هذه العلاقة[٣٧]. كما نُلاحِظ في هذا النصّ وضوح الأقانيم الثلاثة؛ فالابن يتهلَّل بالروح القدس بسبب تحقيق إرادة الآب: «أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلَهِي سُرِرْتُ» (مز٤٠: ٨).

---

[٣٣] انظر أيضًا: مت١١: ٢٥ــــ٢٦.

[٣٤] انظر أيضًا: يو١٥: ١١؛ ١٧: ١٣.

[35] Zodhiates, Spiros: *op. cit.,* G242.

[36] Balz, Horst Robert; Schneider, Gerhard, *op. cit.,* S. 1:8.

[٣٧] انظر: لو٤: ١، ١٤.

هذا التهليل كان هو المقدمة لتسبحة الشكر التي قدَّمها السيد المسيح للآب؛ لأنه كما أن تسبحة الشكر هي اللغة الحقيقيَّة للفرح المُقدَّس، كذلك فإن الفرح المُقدَّس هو أصل وينبوع تسبحة الشكر. لذلك نجد أن السيد المسيح يقول: «أَحْمَدُكَ σοι ἐξομολογοῦμαί أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ». والفعل ἐξομολογοῦμαί، هو في الزمن المُضارِع المبني للمتوسِّط للفعل ἐξομολογέω، بمعنى "أعترف بالتفصيل، أُقرُّ بكل شيء، أُسلِّم بـ"[٣٨]، لذلك من الإمكان أن يُترجَم الفعل إلى «أعترف لك»، ليكون المعنى: "أعترف لك بتقبّلي الكامل والمشوب بالفرح بما صنعته". وهو ما يوازي للفعل אוֹדְךָ «أَحْمَدُكَ»، في مزامير العهد القديم (انظر على سبيل المثال: مز٨٦: ١٢؛ ١١٨: ٢١؛ ١٣٨: ١)[٣٩].

ونلاحِظ هنا أن السيد المسيح يُوجِّه خطاب الحمدّ لله في صيغتيْن، احداهما مُستمدَّة من صلة الله بالمسيح شخصيًّا: «الآب»، وهذه هي صلة المحبة والوحدانيَّة. والثانية، صلة الله بالمخلوقات قاطبة: «رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»، وهذه صلة القدرة والخلق. وعن هذا الحمدُ، يقول **القديس كيرلس الإسكندري**:

"بعضًا منهم يعترض علينا قائلاً: ها الابن يُقدِّم اعتراف الحمد للآب، فكيف لا يكون أقل من الآب؟ ... وماذا يمنع أيها السادة الكرام، أنَّ الابن مع كونه مساويًّا في الجوهر، يحمد ويشكر أباه، لأنه يُخلِّص كل الذين تحت السماء بواسطته؟ ولكن إن ظننت أنه بسبب شكره هو أقل من الآب، فلاحظ ما يلي: إنه يدعو الآب: «رب السماء والأرض». ولكن بالتأكيد فإن ابن الله الضابط الكل بالتساوي معه رب الكل، وفوق الكل وليس هو أقل منه، أو مختلف عنه في الجوهر، ولكنه إله من إله، مُكلَّل بنفس

[38] Zodhiates, Spiros: *op. cit.,* G3670.
[39] Balz, Horst Robert; Schneider, Gerhard, *op. cit.,* S. 2:9.

الكرامات، ويملك بحق جوهره، المساواة معه في كل شيء، وهذا كافٍ للإجابة عليهم" (تفسير إنجيل لوقا، عظة ٦٥)[٤٠].

أمّا عن لفظ "الآب" Πατήρ ، فقد ورد كثيرًا في العهد الجديد (٢٥٠ مرة). والرب يسوع نفسه تكلَّم كثيرًا عن الله تحت صيغة "الآب". فهو يُخاطبه قائلاً: «أَيُّهَا الآبُ Πάτερ»[٤١]، أو «يَا أَبَتَاهُ Πάτερ μου»[٤٢]، أو «يا أبّا الآب ἀββα ὁ πατήρ»[٤٣]، أو يدعوه «أبي πατήρ μου»[٤٤]، أو «أبي السماوي ὁ πατήρ μου ὁ οὐράνιος»[٤٥]، أو «أبي الذي في السموات ὁ πατήρ μου ὁ ἐν οὐρανοῖς »[٤٦] [٤٧].

وفي كل نصوص الصلوات المُسجَّلة للسيد المسيح، يؤكِّد استخدامه لصيغة النداء: "أيها الآب"، على شركته الكاملة ووحدته مع الله الآب. فهي تشير إلى علاقة الحب، والطاعة التي للمسيح لله أبيه، وعمق العاطفة والثقة بينهما. أمّا عن تكراره للنداء «أيها الآب»، في نص هذه الصلاة، فالأول يعود مُباشرةً إلى الله بصفته أبيه؛ وفي الثاني يعود إلى الله بصفته آب الجميع، الذي لا يُقاوَم في طرقه التي يستخدمها.

بعد هذا، يُصرِّح السيد المسيح عن سبب حمده لله أبيه، قائلاً: «لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ». وفي البداية، ماذا كان يقصد السيد المسيح بـ «هَذِهِ ταῦτα»، التي أخفاها أو أعلنها؟ من الممكن أن تعود على ما يلحقها؛ أي، طبيعة السيد المسيح الفريدة بكونه الابن الوحيد (لو١٠: ٢٢)، والامتياز الذي منحه الله للتلاميذ خلال المسيح (لو١٠:

---

[٤٠] القديس كيرلس الإسكندري، تفسير إنجيل لوقا، ٣١٥.
[٤١] انظر على سبيل المثال: مت١١: ٢٥، ٢٦.
[٤٢] انظر على سبيل المثال: مت٢٦: ٣٩، ٤٢.
[٤٣] انظر على سبيل المثال: مر١٤: ٣٦.
[٤٤] انظر على سبيل المثال: مت١١: ٢٧؛ ١٥: ١٣؛ لو٢: ٤٩؛ يو٥: ١٧.
[٤٥] انظر على سبيل المثال: مت١٥: ١٣.
[٤٦] انظر على سبيل المثال: مت٧: ٢١؛ ١٠: ٣٢؛ ١٢: ٥٠.
[47] Zodhiates, Spiros: *op. cit.,* G3962.

٢٣ـ٢٤). أو تعود، وهو الأرجح، على ما يسبقها؛ أي، تأسيس ملكوت الله وسقوط الشيطان (لو١٠: ١٧ـ١٨).

أمّا الفعل «أَخْفَيْتَ ἀπέκρυψας»، من الفعل ἀποκρύπτω "أُخفي، أحجب"، فهو يتكوَّن من ἀπό "عن"، و κρύπτω "أُخفي"، بمعنى "أُخفي عن، أحجب عن"[٤٨]. وعادةً، يكون غرض الإخفاء إمّا لصالح الشخص، أو لسبب عدم استحقاقه، كما في تلك الحالة، حيث أخفى الله سر الملكوت عن «الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ σοφῶν καὶ συνετῶν» في أعين أنفسهم. ولكن من الضروري أن نتفهَّم المعنى الذي قصده المسيح، فهو لم يقصد أن يُقلِّل من أهميَّة القدرة العقليَّة أو يدينها، ولكنه يدين الكبرياء العقليَّة. فإن القلب وليس العقل هو بيت الإنجيل، فليس الذكاء هو الذي يمنع عنّا بركات الإنجيل، ولكنها الكبرياء؛ وليس الغباء هو الذي يفتح أمامنا باب قبول المسيح، ولكنه التواضع. فالمسيح هنا لا يربط بين الجهل والإيمان، ولكنه يربط بين التواضع والإيمان. فقد تكون للإنسان حكمة سليمان ولكن إذا لم تكن له البساطة والثقة والبراءة، كقلوب الأطفال، فإنه يمنع نفسه من قبول مطالب الإنجيل. لذلك يقول بولس الرسول عن هؤلاء: « لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: سَأُبِيدُ حِكْمَةَ الْحُكَمَاءِ وَأَرْفُضُ فَهْمَ الْفُهَمَاءِ. أَيْنَ الْحَكِيمُ؟ أَيْنَ الْكَاتِبُ؟ أَيْنَ مُبَاحِثُ هَذَا الدَّهْرِ؟ أَلَمْ يُجَهِّلِ اللهُ حِكْمَةَ هَذَا الْعَالَمِ؟ ... لأَنَّ جَهَالَةَ اللهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ. فَانْظُرُوا دَعْوَتَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ لَيْسَ كَثِيرُونَ حُكَمَاءُ حَسَبَ الْجَسَدِ. لَيْسَ كَثِيرُونَ أَقْوِيَاءُ. لَيْسَ كَثِيرُونَ شُرَفَاءُ. بَلِ اخْتَارَ اللهُ جُهَّالَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ وَاخْتَارَ اللهُ ضُعَفَاءَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الأَقْوِيَاءَ. وَاخْتَارَ اللهُ أَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُزْدَرَى وَغَيْرَ الْمَوْجُودِ لِيُبْطِلَ الْمَوْجُودَ. لِكَيْ لاَ يَفْتَخِرَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَمَامَهُ» (١كو١: ١٩ـ٢٠، ٢٥ـ٢٩).

كما يجب أن نؤكِّد على أن تهليل السيد المسيح، لم يكن لأن الخطاة قد أعمت عيونهم عن حق الله، لأن الله «لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ» (٢بط٣: ٩). ولكنه تهلَّل لأن إدراك ذلك الحق لا يعتمد على

[48] Ibid., G613.

القدرات البشريَّة، بل هي نعمة الله السخيَّة التي تمنح المُتَّضعين هذا الامتياز. يشرح ذلك **القديس يوحنا ذهبي الفم** قائلاً:

"إنه يقول: «أحمدك ... لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء». ماذا إذن؟ هل يفرح بهلاك أولئك الذين لم يقبلوا تلك المعرفة؟ بالطبع لا؛ ولكنها أفضل طريقة يستخدمها هو لخلاص البشر. فإنه لا يُجبر أحدًا ممن يرفضون بالتمام، ولا يرغبون في تقبُّل أقواله. لأنهم، وإن لم يتوبوا عن طريق دعوته، بل سقطوا إلى خلف وازدروا بها، فيمكن بتركهم خارجًا، يجعلهم هذا يتشوَّقون لهذه المعرفة ... لأنه حينما يقول: «لأنك أخفيت»، لا يقصد، بتاتًا، أن هذا هو من فِعْل الله. مثلما عندما يقول بولس: «اسلمهم الله إلى ذهن مرفوض» (رو١: ٢٨)، أو «أعمى أذهانهم» (٢انظر: كو٤: ٤)، يجعل هذا من الله هو الفاعل، ولكن من هم السبب في ذلك؛ هكذا هو الحال، في استخدامه هنا لعبارة «أخفيت»"[٤٩].

أمّا قوله «أَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ ἀπεκάλυψας αὐτὰ νηπίοις »، فنُلاحِظ أن الأمور الإلهيَّة، هي في البداية، أمورٌ مُخفاة، مثل «كَنْزٍ مُخْفىً فِي حَقْلٍ» (مت١٣: ٤٤)، أو «خَمِيرَةٍ» مُخبأة في أكيال من الدقيق (مت١٣: ٣٣). ولكن «لَيْسَ خَفِيٌّ لاَ يُظْهَرُ وَلاَ مَكْتُومٌ لاَ يُعْلَمُ **وَيُعْلَنُ**» (لو٨: ١٧)، ولكن هذا الإعلان ينغلق أمام عدم الاستعداد البشري لتقبّلها بسبب الكبرياء، وينفتح أمام من يُدركون مقامهم أمام الله. هكذا صرَّح السيد المسيح لبطرس، حينما اعترف به قائلاً: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ»، أن «لَحْماً وَدَماً لَمْ **يُعْلِنْ** لَكَ لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (مت١٦: ١٦-١٧). يقول **القديس كيرلس الإسكندري**:

"الآب قد كشف لنا السرَّ الذي كان مكتومًا ومحفوظًا في صمت عنده، من قبل إنشاء العالم، الذي هو تجسُّد الابن الوحيد، الذي كان معروفًا سابقًا حقًّا، قبل إنشاء العالم، ولكن أُعلِن لسكانه في أواخر الدهر ... لقد

[49] *The Nicene and Post-Nicene Fathers,* edit by: Schaff, Philip, First Series, Vol. X, *Homilies on Matthew,* Homily XXXVIII, 1, p. 251.

سبقنا في هذا العالم حشدٌ كبير كانوا على مستوى الكلمات، لهم لسان طلق مُتميِّز، لهم سمعة كبيرة في الحكمة، وفي فخامة التعبير، والأسلوب الجميل، ولكن كما قال عنهم بولس: «حمقوا في أفكارهم وأظلمّ قلبهم الغبي، وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء» (رو١: ٢١ـ٢٢) ... أمّا لنا نحن فقد كتب: «إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر، فليصر جاهلاً لكي يصير حكيمًا، لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله» (١كو٣: ١٨). لذلك فيمكن للمرء أن يؤكِّد على أنَّ من له مجرَّد حكمة العالم فقط، هو جاهل وبلا فهم أمام الله، ولكن من يظهر أنه جاهل في نظر حكماء هذا العالم، ولكن له في قلبه وفكره نور رؤية الله الحقيقيَّة فهو حكيم أمام الله" (تفسير إنجيل لوقا، عظة ٦٥)[٥٠].

حقًّا إنه لم يمنع أحدًا عن معرفته، لكن الطريق إليه، بالنسبة لنا، هو كرب والباب ضيِّق، ولا يقدر أحد أن يدخله غير البسطاء المتواضعين. أولئك هم الأطفال، الذين قال عنهم المُرنِّم في المزمور: «مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ أَسَّسْتَ حَمْداً بِسَبَبِ أَضْدَادِكَ لِتَسْكِيتِ عَدُوٍّ وَمُنْتَقِمٍ» (مز٨: ٢). فهو يشير بهذه الصفة، بطريقةٍ رمزيَّة، إلى عديمي العلم والضعفاء والذين لا يعيرهم العالم وزنًا. إلاّ أنهم في هذا النص نجدهم يُمثِّلون أيضًا أولئك المُنزَّهين عن الأهواء الكاذبة، ولذا فهم مُنفتحون للنور الجديد الذي أُعلِنَ لهم. فقد تهلَّل بإعلان سر الخلاص لأولئك الذين في ذلك الوقت يُكوِّنون "القطيع الصغير" من تلاميذه. فإنهم لم يحظوا بمستوى عالٍ من التعليم، بالمقارنة مع الكتبة والفرِّسيين، الذين تحصَّلوا على المعرفة الناموسيَّة. هكذا أيضًا، المسيحيّون يُدعَون أطفالاً، حينما يُدركون أن المعرفة البشريَّة برمَّتها، هي باطلة بالمُقارنة مع الخلاص الممنوح لهم بالمسيح يسوع. يقول **القديس كليمندس الإسكندري**:

"حينما نتوب عن خطايانا ونتخلَّى عن شرورنا ونتطهَّر بالمعمودية، نرجع إلى النور الأبدي كالأطفال العائدين إلى أبيهم. فقد تهلَّل يسوع بالروح قائلاً: «أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء

[٥٠] القديس كيرلس الإسكندري، تفسير إنجيل لوقا، ٣١٦-٣١٧.

والفهماء وأعلنتها للأطفال» (لو١٠: ٢١). فالمُربِّي والمُعلِّم يدعونا هنا "أطفالاً"، قاصدًا بكلماته أننا أكثر استعدادًا لقبول الخلاص من حكماء هذا العالم الذين، باعتقادهم أنهم حكماء، قد أعموا عيونهم. واستطرد بعد ذلك صارخًا في بهجة وفرح، كما لو كان يشارك أرواح الأطفال مناغاتهم: «نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرة أمامك». فلهذا السبب قد أعلن للأطفال ما قد أخفاه عن حكماء وفهماء هذا العالم. إذن، هذا سببٌ وجيه لأن نعتبر أنفسنا، نحن الأطفال، أبناءً لله، نحن الذين قد خلعنا الإنسان العتيق وعباءة الشر، ولبسنا عدم الفساد بالمسيح، حتى إننا، بكوننا قد تجدَّدنا وأصبحنا قديسين، وقد وُلِدنا ثانيةً، يتحتَّم علينا أن نحفظ الإنسان الجديد بدون فساد، فنظل نحن الأطفال المولودين حديثًا كأبناء لله أنقياء من الدنس والرذيلة" (المُربِّي، ١: ٦: ٣٢) [٥١].

ثم يختم السيد المسيح، تسبحة الشكر هذه بقوله: «نَعَمْ أَيُّهَا الآبُ لأَنْ هَكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ εὐδοκία أَمَامَكَ». هنا نُلاحِظ أن كلمة الْمَسَرَّةُ εὐδοκία، هي من ذات الفعل اليوناني εὐδοκέω "أُسَرّ، أرضَى، أستحسن"، المُستخدَم في شهادة الآب للابن، عند معموديته: «بِهِ سُرِرْتُ ἐν ᾧ εὐδόκησα» (مت٣: ١٧). وتحمل كلمة εὐδοκία مفهوم نعمة الله أو عطفه؛ كذلك مفهوم إرادة الله؛ وأخيرًا، مفهوم التفضيل أو الرأي الشخصي للإنسان[٥٢]. أمّا في هذا النص εὐδοκία، تعني، حرفيًّا: «هذه هي إرادتك». لأن العمل بناموس الحق، بالتأكيد، يُرضي إله الحق[٥٣].

يُتبَع

[51] *The Fathers of The Church,* edit by: Simon P. Wood, Vol. 23, *Christ the Educator,* First Book, (The Catholic University of America Press: 1954), p. 31-32.
[52] Kittel, Gerhard (Hrsg.); Bromiley, Geoffrey William (Hrsg.); Friedrich, Gerhard (Hrsg.): *Theological Dictionary of the New Testament,* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1976), 2:743.
[53] Spence-Jones, H. D. M. (Hrsg.): *The Pulpit Commentary: St. Matthew Vol. I*, (Bellingham, WA: Logos Research Systems, Inc., 2004), 449.